خوف الاختلاف عند ظهور القرآن في الناس

خوف ابن عباس وقصته مع عمر في ذلك

أخرج الحاكم (٣/ ٥٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ قاعداً عند عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إذ جاءه كتابٌ أنَّ أهلَ الكوفة قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا، فكَبّر رحمه الله، فقلت: اختلفوا، فقال: أفّ! وما يُدريكَ؟ قال: فغضبَ، فأتيتُ منزلي، قال: فأرسل إليَّ بعد ذلك فاعتَلَلْتُ[1] له، فقال: عَزَمْتُ عليكَ إلا جئتَ، فأتيتُه فقال: كنتَ قلتَ شيئاً، قلتُ: أستغفر الله لا أعودُ إلى شيء بَعْدَها، فقال عزمتُ عليك إلاّ أعدت عليَّ الذي قلتَ، قلتُ: قلتَ كُتِبَ إليَّ أنه قد قرأ القرآن كذا وكذا، فقلتُ: اختلفوا، قال: ومن أيّ شيءٍ عَرَفْتَ؟ قلتُ: قرأت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلبِهِ﴾ حتى انتهيت إلى ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[2] فإذا فَعَلُوا ذلك لم يصبر صاحب القرآن، ثم قرأت: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثمِ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئسَ المِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ﴾[3] قال: صدقتَ والذي نفسي بيده. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

قصة أخرى لابن عباس في خوفه من هذا الأمر

وعنده أيضاً عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: بينما ابن عباس مع عمر وهو آخذ بيده، فقال عمر: أرى القرآن قد ظهر في الناس، فقلتُ ما أحبُّ ذاك يا أمير المؤمنين، قال: فاجتذَبَ يدَهُ من يدي وقال: لمَ؟ قلتُ: لأنّهم متى يقرأوا يَتقَرَّوا[4] ومَتى ما يتقَرَّوا اختلفوا، ومتى ما يختلفوا يضرب بعضهم رقابَ بعض، فقال: فجلس عني وتركني، فظللتُ عنه بيوم لا يعلمه إلا الله، ثم أتاني رسولُه الظهر، فقال: أجبْ أميرَ المؤمنين، فأتيتُهُ فقال: كيفَ قلتَ؟ فأعدتُ مقالتي، قال عمر رضي الله عنه: إن كُنتُ لأكتُمُها الناس.

مواعظ أصحاب النبيّ ﷺ لقراء القرآن

موعظة عمر بن الخطاب

أخرج ابن زنجويه عن كنانة العَدَوِيّ قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى

---

(١) «اعتللتُ»: اعتذرتُ.

(٢) [٢/ سورة البقرة/ ٢٠٥].

(٣) [٢/ سورة البقرة/ ٢٠٦، ٢٠٧].

(٤) «يتقرّوا»: يتتبّعوا.

أمراء الأجناد: أن ارفَعُوا إليّ كلَّ من حمل القرآن، حتى أُلحِقَهُمْ في الشرف من العطاء، وأُرسِلَهم في الآفاق يعلّمونَ النّاسَ. فكتب إليه الأشعريّ رضي الله عنه أنه بَلَغَ مَنْ قِبَلِي ممن حملَ القرآن ثلاثمائة وبضع رجال، فكتب عمر إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر إلى عبد الله بن قَيْس[1] وَمَنْ معه من حَمَلَةِ[2] القرآن. سلامٌ عليكم، أمّا بعدُ: فإنّ هذا القرآن كانَ لكم أجراً وكائن لكم شَرفاً وَذُخراً، فاتبعوه ولا يتّبِعَنّكم؛ فإنه من اتّبعه القرآن زَخَّ[3] في قفاه حتى يقذفه في النار، ومن تبع القرآن ورد به القرآنُ جناتِ الفردوس، فليكونَنّ لكم شافعاً إن استطعتم ولا يكونَنّ بكم ماحلاً[4]، فإنه من شفع له القرآنُ دخلَ الجنةَ، وَمَنْ مَحَلَ به القرآنُ دخلَ النّارَ. واعلموا أنّ هذا القرآن ينابيعُ[5] الهدى وَزَهرةُ العلم، وهو أحدثُ الكُتُب عهداً بالرّحمن، به يفتح الله أعيناً عُمْياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً. واعلموا أنّ العبدَ إذا قامَ من الليل فتسوّكَ وتوضّأ ثم كَبّرَ وقرأ وضع الملكُ فاه على فيهِ ويقولُ: اتلُ اتلُ فقد طبتَ وطابَ لك، وإنْ تَوَضّأ ولم يَستَكْ حفظَ عليه ولم يعدُ ذلك. ألا وإنّ قراءةَ القرآن مَعَ الصّلاةِ كنزٌ مكنونٌ وخيرٌ موضوعٌ، فاستكثروا منه ما استطعتم، فإنّ الصلاة نورٌ، والزكاة برهانٌ، والصبر ضياءٌ، والصّوم جُنّةٌ، والقرآن حجّة لكم أو عليكم، فأكْرِمُوا القرآن ولا تهينوه؛ فإنّ اللّهَ مُكْرِمُ مَنْ أكرمه ومهينٌ من أهانه، واعلموا أنه مَنْ تلاه وحفظه وعمل به واتّبع ما فيه كانت له عند الله دعوة مستجابة؛ إن شاء عجّلها له في دنياه وإلا كانت له ذخراً في الآخرة، واعلموا أنّ ما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربّهم يَتَوَكّلونَ، كذا في الكنز (١/ ٢١٧).

موعظة أبي موسى الأشعري

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٧) عن أبي كنانة عن أبي موسى: أنه جمع الذين

(١) هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٢) «حملة»: جمع حامل.
(٣) «زخّ»: دفع.
(٤) «ماحلاً» خصماً مجادلاً.
(٥) «ينابيع»: جمع ينبوع وهو عين الماء.

قرأوا القرآن فإذا هم قريبٌ من ثلاثمائة، فعظَّم القرآن وقال: إنَّ هذا القرآن كائنٌ لكم أجراً وكائن عليكم وِزْراً، فاتَّبعوا القرآن ولا يتَّبعنكم القرآنُ؛ فإنه من اتَّبَعَ القرآنَ هبط به على رياض الجنة، ومن تَبِعَهُ القرآنُ زَخَّ في قفاه فقذفه في النار. وعنده أيضاً عن أبي الأسود الدِّيلي عن أبيه قال: جمع أبو موسى القرَّاءَ فقال: لا تُدْخِلُوا عليَّ إلاَّ مَنْ جَمَعَ القرآن، قال: فَدَخَلْنَا عليه زُهاء[1] ثلاثمائة، فوَعَظَنَا وقال: أنتم قراءُ أهلِ البَلَد فلا يطولَنَّ عليكم الأَمَدُ فَتَقْسُو قلوبكم كما قست قلوبُ أهل الكتاب، ثم قال: لقد أنزلت سورة كنا نُشَبِّهُهَا ببراءةَ طولاً وتشديداً حفظتُ منها آية: لو كان لابن آدم واديان من ذهب لالتمسَ إليهما وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التراب[2]؛ وأنزلت سورة كنا نشبهها بالمسبِّحاتِ أولها: سَبَّح لله، حفظت آية كانت فيها ﴿يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[3]، فتكتب شهادة في أعناقكم ثم تسألون عنها يوم القيامة[4].

موعظة عبد الله بن مسعود

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه أتاه ناسٌ من أهل الكوفة فقرأ عليهم السلام، وأمرهم بتقوى الله وأن لا يختلفوا في القرآن ولا يتنازعون فيه، فإنه لا يختلف ولا يُنسى ولا ينفد لكثرة الردّ، أفلا ترون أنَّ شريعة الإسلام فيه واحدة حدودها وفرائضها وأمر الله فيها؟ ولو كان شيء من الحرفين يأتي بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف، ولكنه جامع لذلك كله، وإني لأرجو أن يكونَ قد أصبح فيكم من الفقه والعلم من خير ما في الناس، ولو أعلم أحداً تُبلغنيه الإبلُ هو أعلم بما نزل على محمد ﷺ ـ لقصدته حتى أزداد علماً إلى علمي، فقد علمت أنَّ رسول الله ﷺ كان يُعْرَضُ عليه القرآن كلَّ عام مرَّة فعُرض عام تُوُفِّي مرَّتين، فكنتُ إذا قرأت عليه أخبرني أني مُحْسِنٌ، فمن قرأ على قراءتي فلا يذعْها رَغبةً عنها، وَمَنْ قرأ على شيءٍ من هذه الحروف فلا يذعْهُ رغبةً عنه؛ فإنَّ من جحد بحرفٍ منه جحد به كلَّه. كذا في الكنز (١/ ٢٣٢). وأخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٥٠) عن رجل من همْدَان من أصحاب عبد الله قال: لما أرادَ عبد الله أن يأتي المدينة جمع أصحابه فقال: والله إني لأَرْجُو أنْ يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدِّين والفقه والعلم بالقرآن ـ فذكر الحديث بطوله. وفي روايته: إنَّ

---

(١) زهاء: أي مقدار.

(٢) هذا من القرآن المنسوخ.

(٣) [٦١/ سورة الصف/ ٢].

(٤) هذا الجزء الثاني من الآية من القرآن المنسوخ.

هذا القرآن لا يختلفُ ولا يَسْتَبِنُ[١] ولا يتفه[٢] لكثرة الرد. وأخرجه الطبراني. قال الهيثمي (٧/ ١٥٣): وفيه من لم يُسَمَّ وبقية رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٠) عن ابن مسعود قال: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَفَ بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناسُ يفرحون، وببكائه إذا الناسُ يضحكون، وبِصَمْتِه إذا الناس يخلطون، وَبِخُشُوعه إذا الناسُ يختالون[٣]؛ وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً، حكيماً حليماً، عليماً سَكِيتاً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صَخَّاباً[٤] ولا صَيَّاحاً ولا حَدِيداً[٥]. وعنده أيضاً عنه قال: إن استطعتَ أنْ تكونَ أنتَ المُحَدِّثَ وإذا سمعتَ الله يقولُ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فَأَرْعِها سَمْعَكَ؛ فإنه خيرٌ يأمرُ به أو شرٌ ينهى عنه.

الاشتغال بأحاديث رسول الله ﷺ
وما ينبغي لمن يشتغل بها
سؤال أعرابي النبي عليه السلام عن الساعة وهو يحدّث

أخرج البخاري (١/ ١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبيُّ ﷺ في مجلس يحدِّثُ القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسولُ الله ﷺ يحدِّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكَرِهَ ما قال: وقال بعضهم: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حتى إذا قضى حديثه قال: «أين» ـ أراه السَّائلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ ـ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قال: كيف إضاعَتُها؟ قال: «إذَا وُسِّدَ[٦] الأمْرُ إلى غَيرِ أهْلِهِ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

تبليغ وابصة حديث النبي ﷺ امتثالاً لأمره في خطبة الوداع

وأخرج البزار عن وابصة: أنه كان يقوم للناس بالرَّقَّة[٧] في المسجد الأعظم يوم الفطر

---

(١) «لا يَسْتَبِنُ»: أي لا يخلق على كثرة الرد، وقال في الفائق» (١/ ١٣٣): وقيل معنى الشنان: الامتزاج بالباطل من الشّنانة. وهي اللبن الممزوج بالماء. «النهاية» (٢/ ٥٠٧).

(٢) هو من الشيء التافه الحقير، يقال تفه يتفه فهو تافه.

(٣) «يختالون»: يتبخترون ويتكبرون.

(٤) «الصَّخَّاب»: الشديد الصياح.

(٥) «الحديد»: سريع الغضب.

(٦) «وسّد»: أي أسند وجُعل في غير أهله. والمعنى إذا سَوَّد وشَرُف غير المستحقّ للسيادة والشرف. «النهاية» (٥/ ١٨٣).

(٧) «الرَّقَّة»: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام. «معجم البلدان» (٣/ ٥٩).